٢٠٠
حبٌّ مكين

[الطويل]

لِصَفْرَاءَ في قَلْبِي مِنَ الحُبِّ شُعْبَةٌ
هَوًى لَمْ تَرُمْهُ الْغَانِيَاتُ صَمِيمُ(١)

بِهِ حَلَّ بَيْتُ الحَيِّ ثُمَّ انْثَنَى بِهِ
فَزَالَتْ بُيُوتُ الْحَيِّ وَهْوَ مُقِيمُ(٢)

وَمَنْ يَتَهَيَّضْ حُبُّهُنَّ فُؤَادَهُ
يَمُتْ وَيَعِشْ مَا عَاشَ وهوَ سَقِيمُ(٣)

فَحَرَّانِ صَادٍ ذِيدَ عَنْ بَرْدِ مَشْرَبٍ
وعَنْ بَلَلاتِ المَاءِ وَهْوَ يَحُومُ(٤)

بَكَتْ دارُهُمْ مِنْ فَقْدِهِمْ وَتَهَلَّلَتْ
دُمُوعِي فَأَيُّ الْجَازِعَيْنِ أَلُومُ(٥)؟

أَهذَا الَّذِي يَبْكِي مِنَ الهُونِ والْبَلَا
أَمَ آخَرَ يَبْكِي شَجْوَهُ ويَهِيمُ(٦)

---

(١) الصفراء: يقصد بذلك الحب والعذاب. يملأ قلب الشاعر حبّ عظيم لمن يحبّ، ولكن الأسى يكدّره، حتى تغلغل في الأعماق ولم يكن قصد الغانيات الإساءة.

(٢) حبّ بيت في الحيّ استقرّ في قلبي، وشاءت الظروف أن يرتحل ساكنوه فترك في النفس ألماً لم يفارقها.

(٣) يتهيّض: يعاوده مرة تلو الأخرى، فإذا ابتلي المرء بحبّ إحدى النساء توالت هبّات ذلك الحبّ عليه فأماتته أو جعلته يعيش في شقاء وجعلته مريضاً دائماً.

(٤) حَرَّان: عطشه شديد. صادٍ: ظمآن. ذِيد: طرد. فذلك إنسان عطشه شديد، وظماؤه لا يرتوي لأنه طرد عن مصدر ريه ومنع عنه ماؤه العذب الذي يبلّ ريقه، وهو لا يتوانى يسعى للحصول عليه ويحوم حوله.

(٥) و (٦) شاركت ديار ليلى البكاء الشاعر المتألم لفقد الأحبّة فانهمرت الدموع وهنا اجتمعت مأساة البشر إلى مأساة الحجر الذي يُحسّ الفراغ، ولذا يتساءل الشاعر =

إِلـى الـلَّـهِ أَشْـكـو حُـبَّ لَـيْـلَـى كَـمـا شَـكَـا
إِلـى الـلَّـهِ فَـقْـدَ الْـوَالِـدَيْـنِ يَـتِـيـمُ[١]
يَـتِـيـمٌ جَـفَـاهُ الأَقْـرَبُـونَ فَـعَـظْـمُـهُ
كَـسِـيـرٌ وَفَـقْـدُ الْـوَالِـدَيْـنِ عَـظِـيـمُ[٢]
أَفـي الـحَـقِّ هـذا أَنَّ قَـلْـبَـك فَـارِغٌ
وَقَـلْـبِـيَ مِـمَّـا قـد أَجَـنَّ يَـهِـيـمُ[٣]؟
إِذا ذُكِـرَتْ لَـيْـلَـى أَنِـنُّ لِـذِكْـرِهَـا
كَـمـا أَنَّ بَـيْـنَ الْـعَـائِـدَاتِ سَـقِـيـمُ[٤]
عَـلَـيَّ دِمَـاءُ الْـبُـدْنِ إِنْ كـانَ حُـبُّـهَـا
عـلـى الـنَّـأْيِ فـي طُـولِ الـزَّمـانِ يَـرِيـمُ[٥]
دَعُـونـي فَـمَـا عَـنْ رَأْيِـكُـمْ كـان حُـبُّـهَـا
وَلَـكِـنَّـهُ حَـظٌّ لَـهَـا وَقَـسِـيـمُ[٦]

= فأيّ الفريقين يلوم؟ فهل يلوم ما نزل به من الهوان وتبدّلت به الحال؟ أم يلوم نفسه الباكية الحزينة وهو يحمل أحزانه على منكبيه ويهيم في القفر؟

(١) و (٢) يشكو الشاعر إلى اللّه تعالى سوء حاله التي جعلتها ليلى آلاماً وأحزاناً كطفل يتيم فقد والديه، فلا سند ولا معين يأخذ بيده، وقد تخلّى عنه الأقارب وتركوه عرضة لنهب الزمن والأقدار وابتعدوا عنه فذلّ، وهو ناعم البدن لم يقو عظمه، لا يزال طريّ العود، فقد الوالدين عظيم الأثر في النفس.

(٣) يخاطب الشاعر الحيّ هل حقًّا أن قلبك خواء لا حسّ فيه ولا روح وقلبه ملئ هموماً وأحزاناً ويكاد الجنون يطبق عليه، وقد سلب عقله وهو تائه لا يقرّ له قرار.

(٤) وذكر ليلى يجعل الشاعر يتألم ويئن أنين الثكلى التي فقدت عزيزاً عليها وقد أمضّها الحزن وهي تتلوّى أمام عائديها من النسوة.

(٥) رام: مال وتحوّل. البُدن: النياق السمان. يتعهّد الشاعر بدفع الدية لطالب ثأر من النياق السمان في حال تحوّل عن حبّه أو زال هذا الحبّ من قلبه.

(٦) يخاطب الشاعر الملأ ويطلب منهم أن يتركوه وشأنه، فهو لم يستشر أحداً عندما أحبّها، ولكن الأمر بيد اللّه تعالى ومشيئته وذلك قسمه اللّه عزّ وجلّ لها.